**تفسير الآيات من (84 – 92)، فما لكم في المنافقين فئتين**

بحث فى علم التفسير

إعداد / شادية بيومي حامد

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**shadia@mediu.ws**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى فما لكم في المنافقين فئتين**

**الكلمات المفتاحية – اللقاء، المنافقين، يهاجرو**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة فما لكم في المنافقين فئتين**

* **.عنوان المقال**

**فما زلنا مع آيات سورة النساء، وهذا اللقاء في قول الحق تبارك وتعالى: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ} [النساء:88- 91].**

**أ. وجه المناسبة:**

**وأول ما نبدأ به هو بيان وجه اتصال هذه الآيات بالآيات السابقة، ولعلنا ما زلنا نذكر أن الآيات السابقة تحدثت عن أصناف من أهل الإيمان، وأهل النفاق، وضعاف الإيمان، وما إلى ذلك. وبعد أن تحدث الله  عن هذه الأصناف -أراد جل وعلا أن يذكر لأهل الإيمان صنفًا خاصًّا من المنافقين أو من ضعاف الإيمان الذين لم يتخذوا القرار الحاسم في الإيمان أو الكفر، وكيف ستكون المعاملة لهؤلاء فقال: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ}.**

**ب. سبب النزول:**

**ذُكر في سبب هذا النزول عدة وجوه:**

**الأول: أنها نزلت في قوم قدموا على النبي  مسلمين، فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ثم قالوا: يا رسول الله نريد أن نخرج إلى الصحراء فأذن لنا فيه، فأذن لهم، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة؛ حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم، فقال بعضهم: لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا، وصبروا كما صبرنا، وقال قوم: هم مسلمون، وليس لنا أن ننسبهم إلى الكفر إلى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم -كما رأينا- في هذه الآية وما بعدها.**

**الثاني: أنها نزلت في قوم أظهروا الإسلام بمكة، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين، فاختلف المسلمون فيهم وتشاجروا فنزلت الآية؛ وهذا قول ابن عباس، وقتادة.**

**الثالث: أنها نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد عن رسول الله  وقالوا: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ} فاختلف أصحاب الرسول  فيهم؛ فمنهم فرقة يقولون: كفروا، وآخرون قالوا: لم يكفروا، فنزلت الآية، وهذا قول زيد بن ثابت >. وسياق الآية لا يساعد على ذلك؛ لأن الله  قال: {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} فقوله: {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} يعني أن: هؤلاء لم يكونوا في المدينة، إنما كانوا في مكة.**

**الرابع: فيقول بأن الآيات نزلت في قوم ضلوا، وأخذوا أموال المسلمين، وانطلقوا بها إلى اليمامة؛ فاختلف المسلمون فيهم؛ فنزلت الآية، وهو قول عكرمة.**

**الخامس: أنها نزلت في العرنيين الذين أغاروا وقتلوا يسارًا مولى رسول الله .**

**السادس: وقيل أيضًا بأن هذه الآيات نزلت في أهل الإفك.**

**وهي أسباب ذكرها المفسرون، وبعضها أولى من بعض، ويبدو أن المسلمين اختلفوا في أصناف من الناس، هؤلاء ظاهرهم الإيمان، وباطنهم لا يعلمه إلا الله، لكن أعمالهم وأحوالهم ليست على الطريقة التي يرضاها الله ورسوله. ومن هنا اختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم: إنهم مؤمنون. وقال بعضهم: إنهم كفرة أو منافقون.**

**ج. المعنى العام للآيات:**

**بعد أن عرفنا أسباب النزول نستطيع أن نطوف بمعنى الآيات على وجه الإجمال، وتستطيع أن تقول: لما أثبت الله  أنه الإله الواحد الأحد، وأن الخلق جميعًا سيجمعون إلى يوم القيامة لا ريب فيه، وأنه ليس هناك أصدق من الله حديثًا، أراد أن يبين لنا صنفًا من الناس لم يدرك هذه الحقائق على الوجه الصحيح، فعاش في تناقض يعلن الإسلام ويبطن الكفر.**

**والله  يتجه متسائلًا يسأل المؤمنين من أصحاب رسول الله  فيقول: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} ما ينبغي لكم أن تكونوا في المنافقين على رأيين، فهؤلاء فيهم رأي واحد هو: أنهم كفروا بالله ورسوله، والله  هو القوي الإله القادر، نظر إلى أعمالهم، وعاملهم بأعمالهم، وردهم خائبين خاسرين مرتدين محرومين من هداية الله، والهداية إنما هي بيد الله  ولذلك سأل المؤمنين أتريدون أن تهدوا من أضل الله؟**

**ثم قال في قضية عامة، وحقيقة واضحة كالشمس في رابعة النهار: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا ولن تجد له طريقًا للهداية، بل إن هؤلاء لو تأملت في حالهم لعلمت أنهم يودون ويأملون أن ينتقل أهل الإيمان من الإيمان إلى الكفر؛ ليتساوى الجميع في الكفر بالله؛ ولهذا يجب ألا نتخذ من هؤلاء أولياء نستنصر بهم؛ حتى يخرجوا من دار الكفر إلى دار الإسلام. فإن تولوا عن الدين الحق، وعاشوا بهذا الأسلوب، ولم يؤمنوا الإيمان الحقيقي؛ فيجب على المسلمين أن يأخذوهم، وأن يقتلوهم في أي مكان يوجدون فيه، وعلى المؤمنين ألا يتخذوا من هؤلاء أولياء يوالونهم بالمودة والمحبة، ولا نصراء ينصرونهم؛ لأنه لا نصر على الإطلاق لأهل الإيمان عند هؤلاء.**

**لكن يبقى فريق من هؤلاء المنافقين، أو من هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يهاجروا في سبيل الله، وهؤلاء قوم حين منعوا من الهجرة إلى المدينة استطاعوا أن يصلوا، وأن يعيشوا مع أناس بينهم وبين المسلمين ميثاق، فهؤلاء إذا كانوا استطاعوا أن يصلوا إلى من بينهم، وبين المسلمين عهد وميثاق، وعاشوا بينهم إلى أن يأذن الله لهم بفرج قريب يستطيعون أن يصلوا بعده إلى مدينة رسول الله  فهؤلاء لا يؤاخذون بعدم هجرتهم.**

**وهناك صنف آخر، هذا الصنف لا يستطيع أو يشعر بالحرج إذا ما كان في صفوف المشركين؛ لأنه يقاتل إخوانه من أهل الإيمان، كما لا يستطيع أيضًا أن يقاتل هؤلاء المشركين؛ لأنهم أهله وجماعته، وفيهم عشيرته، وربما فيهم أبناؤه وزوجه، ويخشى على هؤلاء الأبناء، ويخشى على زوجه وعلى عشيرته؛ فيشعر بحرج شديد، ولا يستطيع أن يقاتل مع المؤمنين، ومثل هذا معذور والله  ألقى إليه هذا العذر، وليس هناك من سبيل لأهل الإيمان على مثل هؤلاء.**

**وهناك فريق ستجدونه أيها المؤمنون {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} يأمنوكم حين يتظاهرون أمامكم بالإسلام، ويأمنوا قومهم حين يعودون فيعلنون أنهم على دينهم وعلى مبادئهم، كما قال ربنا: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [البقرة: 14] والله قد رد عليهم فقال: {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [البقرة: 15]. هؤلاء كلما رجعوا إلى مراتع الكفر سقطوا فيها، وراحوا يعبدون أوثانهم وأصنامهم، فهؤلاء إن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فلا ضرر منهم، ولكن إن لم يفعلوا ذلك؛ فخذوهم واقتلوهم في أي مكان كانوا فيه، ولأهل الإيمان سلطان بين عظيم على هؤلاء بما أعطى الله المؤمنين من قوة ومن تأييد ومن نصرة. فهذا هو الطريق الذي يجب أن يسلكه المؤمنون في معاملتهم لهذا الصنف، ولهذا الفريق من الناس. هذا إذن هو المعنى العام للآيات.**

**د. حكم موالاة المشركين والمنافقين:**

**فلنعد إلى الآيات نحاول أن نفهم عن الله فيها ما يقول، سوف نلمح أن الله  يريد أن يبين لنا في الآية الأولى أن هؤلاء الذين ذكرنا أسباب النزول فيهم هم منافقون رأيًا واحدًا، لا شك في ذلك، وأن الله  هو الذي ردهم على أعقابهم خاسرين، تركوا دينهم، وعادوا إلى حماة الضلال والكفر؛ جزاء ما اكتسبوا من الذنوب، ولكن الله  يسوق هذه المعاني في هذا الأسلوب الفذ فيقول متسائلًا: {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} كأنه يقول: أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله  لماذا تختلفون في هؤلاء المنافقين لفئتين: فئة تقول: بأن هذا الصنف من أهل الإيمان، وفئة تقول: هذا الصنف من أهل النفاق وأهل الكفر؟ الواقع أن هؤلاء فئة واحدة، هي فئة المنافقين؛ فيجب أن يكون الحكم فيهم واضحًا ظاهرًا.**

**ثم يأتي قوله: {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} ومعنى "أركسهم" كما يقول العلامة ابن كثير: أوقعهم، نقلًا عن ابن عباس، لكن هؤلاء هكذا اختاروا لأنفسهم بما كسبت أيديهم الله  أمدهم في طغيانهم يعمهون كما ذكر ذلك ربنا في كتابه، ولهذا تساءل أيضًا رب العزة والجلال، فقال: أتريدون أن تهدوا من أضل الله؟ ومعنى هذا السؤال الذي يقصد به التعجب، والنفي بأنه لا يمكن أن يهتدي هؤلاء الذين حكم الله بضلالهم، ولهذا جاء التعقيب على هذه الحقيقة بقضية عامة يجب أن تتقرر في أذهان أهل الإيمان، ذلكم هو ما جاء في قوله تعالى: {ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} أي: من يضلل الله عن الطريق الصحيح، وعن الهداية، وعن الإيمان الحق فلن تجد له أيها المخاطب في كل زمان ومكان طريقًا ولا سبيلًا ولا وسيلة تنقذه مما هو فيه إلا أن يشاء الله أمرًا آخر، حينذاك تأتيه الهداية من الله، ويشرق وجدانه بنور الله.**

**وكل هذا ليؤكد المعنى الأول المراد في هدف الآية ألا وهو: أن هؤلاء يجب أن نكون على حذر منهم، وألا نتردد في الحكم عليهم، وألا نتوقف فيهم، وإنما نحكم بكفرهم ونفاقهم، حتى نأخذ لأنفسنا الحيطة إزاء مؤامرات هؤلاء المتآمرين.**

**والله  تأكيدًا لهذه الحقيقة وبيانًا لحال هؤلاء في كفرهم يقول: {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} وهذه الأمنيات لدى هؤلاء الكفرة، وهؤلاء المنافقين أمنيات تصل بهم إلى درجات عالية؛ لذلك تراهم يحاولون محاولات مستميتة، بل ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والنفيس؛ حتى يردوا المؤمنين عن الإيمان، وحتى يضلوهم عن الطريق الصحيح؛ ليتساوى الجميع في الكفر بالله  وحينذاك لا قضية لأهل الإيمان؛ لأنهم تنازلوا عن قضيتهم فتنازلوا عن دينهم، وعن أخلاقهم، وعن مبادئهم، وعن شريعتهم فأصبحوا هم وأهل الكفر سواء، وهذه الأماني التي يخطط لها أهل الكفر تراها واضحة عبر الزمان والمكان، وسوف تبقى حقيقة إلى يوم القيامة؛ لأن الذي يعيش في مستنقع الكفر يزعجه أن يرى أناسا يعيشون في طهر الإيمان، وهو يحاول أن يشد هؤلاء إلى مستنقعه؛ ليتساوى معه فيما هو فيه. ولذلك رأينا هذه الحقيقة تعبر عن حال هؤلاء المنافقين في عصر الرسالة حين يقول ربنا: {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ}.**

**ولهذا حدد الله الإطار الذي يجب على أهل الإيمان أن يتحركوا فيه إزاء هؤلاء الخبثاء فقال: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} لا تتخذوا منهم أولياء ما معنى الولاية؟ الولاية أو الولاية فتح الواو أو كسرها هي: المحبة والنصرة وارتباط المصير بالمصير، فما معنى هذا النهي: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ}؟ المعنى: لا تتخذوا منهم أحبابًا، لا تتخذوا منهم أنصارًا تستنصرون بهم على عدوكم، لا ترتبطوا بهؤلاء ارتباط مصير بمصير؛ فهم في طريق، وأنتم في طريق، وهم على دين باطل، وأنتم على الدين الحق.**

**يقول الإمام الفخر الرازي: دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين، والمنافقين، والمشتهرين بالزندقة والإلحاد، وهذا متأكد بعموم قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ}.**

**هـ. المقصود بالهجرة**

**إذًا فقوله تعالى: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} حددت لأهل الإيمان كيف يمكن أن نتعامل مع هؤلاء، وربطت هذا بغاية هي: {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ}.**

**والهجرة في سبيل الله الواردة في الآية هي: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان؛ بالانتقال من مكة -زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- إلى اللحاق برسول الله  وقد استمر هذا إلى أن أتم الله على المؤمنين نعمته، وفتح رسول الله  مكة حين ذاك قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وبالتالي: فكيف نحكم هذه الغاية في تعامل أهل الإيمان مع هذا الصنف الذي نراه في كل زمان، وفي كل مكان؟**

**هنا نقول بأن الهجرة أوسع من مجرد الانتقال من مكة إلى المدينة، فهي تحصل بالانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، أو بالانتقال من أعمال الكفار إلى أعمال أهل الإسلام.**

**وخلاصة ذلك أننا يجب أن ننظر فيما كان من أمر هؤلاء الذين يهاجرون من مكة إلى المدينة، وبعد فتح مكة تصبح الهجرة تعني الانتقال من أعمال أهل الكفر إلى أعمال أهل الإسلام، فننظر في سلوك هؤلاء: هل فعلًا تركوا وهاجروا من ضعفهم، وعجزهم، وكفرهم، وضلالهم، ونفاقهم إلى رحاب الإيمان، وأعمال أهل الإسلام؟ فإن كان الأمر كذلك؛ فهم إخوة لنا، وإلا فهم من المنافقين، وهم من الكفرة الفجرة الذين يجب أن نعاملهم بما يستحقون.**

**ومعاملتهم بما يستحقون يحددها قوله تعالى: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} "فإن تولوا" عن الدين وعن دعوته وعن رسوله وعن كتابه، فحذف متعلق هذه الولاية يفيد العموم في كل ما من شأنه أن يفيد بأنهم تركوا أمرًا مهمًا وأمرًا خطيرًا، كان يجب عليهم أن يلتزموا به حتى يكونوا من أهل الإسلام، فإن فعلوا ذلك وأعرضوا عن دين الله، وعن رسول الله، وعن كتاب الله، ووقفوا موقف الحاسد الذي يكيد لأهل الإسلام {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} "خذوهم" كلمة "خذوهم" تعني: أن هؤلاء ضعاف وأنه يمكن أن يحوزهم أهل الإسلام بالأسر أو بالقتل، أو أن نأخذهم بهذا الأمر ننفذ فيهم حكم الله .والله  بعد أن أوضح كيف تكون المعاملة مع هؤلاء استثنى صنفين منهم:**

**أما الصنف الأول: فهو الذي يعبر عنه قوله تعالى: {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ}.**

**والصنف الثاني: هو الذي عبرت عنه الآية: {ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ}.**

**أما الصنف الأول: وهو هؤلاء الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، فهؤلاء قوم كانوا في مكة لم يستطيعوا الهجرة إلى المدينة فخرجوا إلى جماعة كان بينها وبين رسول الله  عهد وميثاق من أهل الكفر، واستطاع هؤلاء أن يصلوا إلى هؤلاء، وأن يعيشوا معهم فترة من الزمان إلى أن أذن الله لهم بفرج، فخرجوا مهاجرين إلى رسول الله  أو انتظروا حتى فتح الله على المسلمين مكة، ودانت جزيرة العرب لأهل الإسلام وللإسلام، فانضم هؤلاء إلى أصحاب رسول الله .**

**ويمكن أيضًا أن يكون هؤلاء من الكفرة المحاربين، لكن هؤلاء الكفرة استطاعوا أن يأتوا إلى جماعة بينها وبين رسول الله  ميثاق وعهد، فانضموا إليهم، وعاشوا معهم، لذلك يكون من الصعب أن نحصل على هؤلاء وأن نعاملهم بما ذكر الله في قوله:{ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} لأنهم أصبحوا مختلطين بمن بينهم وبين رسول الله  والمسلمين عهد وميثاق، فلا يمكن التمييز بين هؤلاء وأولئك؛ لأنهم ماداموا قد انضووا تحت راية قوم معاهدين؛ كأنهم أيضًا أصبحوا من أهل العهد، فلا يجوز قتالهم، وبالتالي فهم من هؤلاء الذين استثناهم الله في قوله: {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ}.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**